

إحياء علوم الدين

طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطئونه بارجلكم أن كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تعالى أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة ويحكى أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له يا فتى ما الذى بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين اسقام وأمراض فقال سألتك بالله إلا صدقتنى فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندى زهرتها وحلاوتها واستوى عند ذهبها وحجرها وكأنى أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فأطمأت لذلك نهارى وأسهرت ليلى وقليل حقيير كل ما إنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال أبو نعيم كان داود الطائى يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقليل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .

ودخل رجل عليه يوماً فقال ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخى ان لى في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف .

وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام .

وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمينه ولا يسرة فقليل له في ذلك فقال ان الله خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امرأة مسروقة ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة .

وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكى رحمة له .

وقال أبو الدرداء لولا ثلاث ما أحببت العيش يوماً واحدا الظمأ باللهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم فى الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد .

وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له إن

□ D لم يأمر بك كل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا الا جئت به .
وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم الف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة
فإذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست
بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان ثابت البناني قد حبت إليه
الصلاة فكان يقول اللهم ان كنت لأحد أن يصلى لك في قبره فائذن لي أن أصلى في قبري .
وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السرى اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة
الموت .

وقال الحارث بن سعد مر قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك
فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقة الأهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ
أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم .

وعن أبى محمد المغازلى قال جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم
يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال
له يا أبا محمد بم قدرت على عباكتك هذا فقال علم صدق باطنى فأعاننى على ظاهرى فاطرق
الكتاني ومشى مفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلى فرأيته قد مد كفيه